قصة اغتيال مدينة

الدجيل .. اعدموا ١٣٥ من شبابها ورجالها واعتقلوا ١٤٥٠ من شيوخها ونسائها واطفالها

لم يكتف اركان النظام المباد بابادة بساتينها وطمر نهرها

صافي الياسري

راجت في الاوساط الاعلامية في الايام الاخيرة معلومات تؤكد ان اول من سيحاكم من رموز النظام المباد هو برزان ابراهيم التكريتي ، الاخ غير الشقيق للمخلوع صدام ولا نريد بهذا التحقيق ان نؤثر في سير محاكمته او التدخل في الاجراءات القانونية الخاصة بها ، وانما نريد ايضاح كشف حساب تستعد احدى المدن العراقية وسكانها لتقديمه دعوى وشهادة ضد برزان واخرين من رموز الحكم ، ذلك انهم كانوا ضحايا وشهوداً .

ولن نتعرض لسيرته وراء جدران جهاز المخابرات وسراديبه وسجونه ، ولا مسؤوليته عن الامبراطورية المالية الخاصة بالعائلة ورأسها وكذلك لن نتعرض للاخرين من رموز النظام الذين شاركوا في احداث اليوم الدامي في الدجيل يوم ١٩٨٢/٧/٨ والايام الخمسة التي تلته ، لن نتهمهم ولن نحكم عليهم وانما سننقل وحسب ما قاله السكان عن سلوكياتهم يومها ، والتحقيقات القانونية التي ستجرى بهذا الشأن كفيلة بتأكيد او نفي بعض الوقائع التي سنذكرها نقلاً عن سكان المدينة.

هل قتل سكان الدجيل فعلاً احد اخوال صدام ليدفعوا ديته لعشيرته؟

بقرار واحد اعدم ١٣٥ رجلاً من سكان المدينة

يوم النكبة

في بداية الخمسينيات من القرن الماضي، قتل احد اخوال صدام حسين على الطريق العام بين سامراء وبغداد ولم يعرف قاتله في حينها وبعد تسلم صدام سدة الحكم تحركت عشيرته واجبرت اهالي الدجيل على دفع (دية) القتيل عنوة برغم براءتهم ، فقد اعترف صدام في (كتابه) (رجال ومدينة) ان عمومته هم القتلة، وربما كانت هذه هي البداية الحقيقية لقصة الدجيل وصدام وزبانيته الذين وضعوها دائماً في المربع الاحمر.

اما "يوم النكبة" كما يسميه السكان فسأكتفي بعرض قسم من شهادات اهل المدينة من دون تدخل، وسأنقلها بامانة بمفرداتها التي استخدمها المتحدثون.

قتلوا ابي وامي

المهندس الزراعي (الشيخ) محمد حسن محمود المجيد الزبيدي قال: (والدي هو الشيخ محمود المجيد الزبيدي رئيس بلدية الدجيل آنذاك واحد شيوخ المنطقة البارزين، ديوانه عامر بالزوار والضيوف وقد فض العديد من النزاعات العشائرية وقدم الكثير من الخدمات للمدينة، لكن والدي لم يستجب للدعوات التي وجهت اليه للانضمام الى حزب البعث، كما رفض مغريات وهدايا صدام، لانه يعرف اولياته تماماً وقد احتجز في ١٩٨٠/١١/٢٠ كما قيل لنا حجزاً احترازياً ومعه شقيقي (المدرس) الاستاذ عبد المحسن ، لكن هذا الحجز الاحترازي لم ينته حتى لحظة اكتشافنا انه اعدم هو وشقيقي وعدد كبير من سكان المدينة، اكتشفنا ذلك بعد سقوط النظام لكننا لم نكتشف اين دفنوا حتى هذه اللحظة)

الشيخ اصف ابراهيم الحمزة (شيخ الخزرج) قال: (في بداية عام ١٩٨٢ اعتقل عدد كبير من اهالي المدينة ومن ابناء عشيرتي من دون ان يبلغ ذوو المعتقلين بسبب الاعتقال وسنده القانوني، ولا بمصيرهم ولن يسمح لاحد حتى بالسؤال عنهم.

السيد جميل الموسوي احد سكان المدينة قال : (هذه الاعتقالات الكيفية واستفزازات اخرى ارتكبها الحزبيون وعناصر اجهزة الامن والمخابرات جعلت المدينة تغلي).

صدام في الدجيل

السيد ابراهيم صالح الخفاجي عاد من ايران بعد سقوط النظام وكان قد هرب اليها خشية من بطشه قال: (كان عمري يومها ١٥ عاماً وقد رأيت موكب صدام يدخل المدينة يوم ١٩٨٢/٧/٨ وهو يوم (نكبة المدينة) كما صرنا نسميه لاحقاً، كان الموكب يضم اكثر من ١٢ سيارة مرسيدس، وحلقت في الجو (٧) طائرات هليكوبتر وتقدم الموكب على شارع الدجيل العام الى مركز شرطة الدجيل، حيث اعتلى صدام سطح البناية وكان يبدو متحدياً والقى خطاباً غاضباً كله تهديدات مبطنة لسكان المدينة ولم نعرف السبب يومها، ثم نزل وواصل موكبه السير الى داخل المدينة حتى وصل الى ساحة قريبة من مدرسة الابراهيمية الابتدائية، عندها تصدت له مجموعة من الشبان بينهم عبد الستار توفيق وحسين حسن وكريم كاظم جعفر وفارس جاسم الامين وحازم جاسم محمد علي حسون ومحروس محمد الهادي ومحمد عبد الجواد واخرون واطلقوا النار على موكبه، عندها بدأت الاحداث تأخذ منحى أخر، فقد اغلقت المدينة ومنع التجول لمدة ثلاثة ايام، في حين استمرت المواجهات مدة ستة ايام سقط خلالها العديد من الشهداء من اهل المدينة وقتل ايضاً عدد من حراس صدام حتى جاء لواء الحرس الجمهوري الاول بقيادة طاهر عبد الرشيد ومجاميع من الحزبيين في ٤٤ سيارة من ذات الطبقتين نوع (ليلاند)، لتبدأ حملة عقاب جماعي للمدينة.

العقاب شمل الجميع

السيد احمد العبيدي الدجيلي قال (اعتقل في اليوم الاول ١٩٨٢/٧/٨ نحو ١٤٥٠ شخصاً من سكان المدينة واستمر (العقاب الجماعي) ستة ايام شمل كل عشائر المدينة (الخرابطة، العبيد ال حبيب الظاهر، خفاجة، الزبيد السادة الموسوية، الخزاعل، السلاميين، الخزرج).

واكد عدد كبير من سكان المدينة ان النصيب الاخر من الاعتقالات والاعدامات كان لعشيرة ال حبيب الظاهر.

السيد احمد حسن محمد العبد الله قال: (اعتقلت عائلتنا باكملها، والدي الرجل كبير السن حسن محمد العبد الله واخوتي محمد وسالم وسعد وحسين وحسن وفالح ومحمود وعلي وجواد وابراهيم واخواتي الخمس وثلاث من زوجات اخواني، وثمانية اطفال دون سن العاشرة هم اولاد اخي محمد وستة اطفال اولاد اخي فالح واربعة اطفال اولاد اخي سالم، وقد اقتيدت العائلة باكملها الى سجن المخابرات الخاص في (ابو غريب) وقد توفي والدي خلال التعذيب الذي تم بناء على اوامر مباشرة من (برزان التكريتي) شقيق صدام الذي كان يومها مديراً للمخابرات والشهيد والدي كان يبلغ من العمر ٧٧ عاماً فهو من مواليد ١٩٠٥,

السيد علي حسن محمد العبد الله قال: (كان عمري يومها ١٢ سنة وعمر اخوتي احمد ومحمود (١٤) سنة وهما توأم، وقبل ان يقتادوا عائلتنا الى بغداد اخذونا الى مقر لحزب البعث في مدخل المدينة (الدجيل) وكان في داخله (سمير الشيخلي) بينما تناثرت على الباب جثث عدد من شهداء المدينة، مضرجة بالدماء وعارية تماماً فقد جردوها من الثياب نكاية بالشهداء والاحياء الذين سيشاهدونها ولاثارة الرعب في نفوس اهل المدينة، وكان المنظر مرعباً فعلاً لنا نحن الاطفال وكان سمير الشيخلي يصرخ بنا (مجرمون ... خونة) بعد ذلك اخذونا الى سجن ابي غريب ومعنا بقية عوائل المدينة وفي السجن كان سوء التغذية والضغط النفسي سببين في انقطاع حليب الامهات وموت عدد من الاطفال، وحصلت في عائلتنا حالة اسقاط لواحدة من زوجات اخوتي وفي ١٩٨٤/٦/١٨ وفي شهر رمضان وقبل العيد بايام قلائل تحديداً اخذونا الى معتقل في صحراء السماوة .. قرب (السلمان) وبقي عدد من اخوتي في سجن المخابرات ولم نعلم شيئاً عن مصيرهم حتى لحظة سقوط النظام عندها اكتشفنا انهم اعدموا مع عدد كبير من سكان المدينة وفي هذا المعتقل الصحراوي كان يتم تجهيزنا بالمواد الغذائية بصورة شهرية ولم تكن تكفينا اكثر من عشرة ايام، وقد مات العديد من اهل المدينة في هذا المعتقل، وكنا نضطر لشرب مياه البئر غير الصالحة للاستهلاك البشري للبقاء احياء. وقد مات عدد كبير من الرجال كبار السن بسبب سوء التغذية والمرض وقلة العلاج ولم تكن هناك وسائل اتصال ولم نكن نعرف ماذا كان يجري في العالم فلم يكن هناك حتى جهاز (راديو)، ومحاولة الهرب كان معناها الانتحار في صحراء مجهولة المعالم)

طه ياسين رمضان والهجوم بالجيش الشعبي لاغتيال الشجر والبشر

برزان يأمر بتعذيب السجناء حتى الموت

ولدت في سجن (ابو غريب)

السيد علي عباس جاسم صالح الخفاجي قال: (ولدت في سجن ابي غريب وكان والدي قد اعدم قبل ولادتي في المعتقل الصحراوي حيث وعيت وكان معي عدد كبير من الاطفال ومن عائلتي كانت هناك والدتي وعماتي الاربع وعمة والدي الضريرة البالغة من العمر ٧٠ عاماً، وحين اعادونا الى الدجيل كنت استغرب اشكال (الفواكة) فلم اكن افرق بين (الطماطة والبرتقال) لم اكن اعرف كيف اتعامل مع البرتقالة، ولا افهم معنى النقود او الاحذية وكنت اكره بشدة (اللون الخاكي والزيتوني) ومازال فهما يذكرانني بحرس المعتقل المرعبين وحين خدمت في الجيش فوج الدفاع السابع في معسكرات التاجي واضطررت الى ارتداء (الخاكي) اصيب جسدي بالحكة وكنت انظر الى نفسي بغيظ وانا ارتدي (الخاكي) مجبراً لم استطع اكمال دراستي الابتدائية، فقد تحملت مهمة اعالة والدتي صغيراً، لقد حرمت من الدراسة كما حرمت اللعب ومازلت اشعر بالحزن وانا ارى الاطفال يذهبون الى المدراس، يقولون ان والدي اعدم بناء على اوامر صدام وان الذي نفذها في سجن المخابرات بابي غريب هو اخوه (برزان) لا اعرف الحقيقة اتمنى ان أتأكد .

(علي عمره الان ٢٣ عاماً) وهو امي لا يعرف القراءة والكتابة .

اغتالوا حتى الاشجار

الرجال والصبيان الذين صاروا رجالاً دونوا .. بل حفروا في ذاكرتهم احداث يوم النكبة وصور شهدائهم الذين عراهم الجلادون حتى مما يستر عوراتهم، وسياط السنين في سجن المخابرات الذي كان (برزان) مسؤولاً عنه واعدم فيه العشرات من سكان المدينة ومات تحت التعذيب بعضهم وهم يقرأون بوضوح صفحات ذاكرتهم اليوم ليستعدوا لتقديم دعاواهم وشهاداتهم.

اما الأطفال فقد كبروا بعد ان قتلت طفولتهم في المعتقلات وفي معترك الحياة الذي القتهم به يد الجريمة التي حصدت أرواح ابائهم وذويهم وشهاداتهم الآن ينقصها الكثير من الوضوح، لكنها مملوءة بالرموز والدلالات.

اما النساء، فالدجيل مدينة ريفية محافظة، حتى ان الشهود الذين تحدثوا لنا لم يأتوا على ذكر اسم ولو واحدة منهن، لكنهم تحدثوا عن بعض معاناتهن وكتموا الكثير، والمخفي من عذاباتهن يمكن التكهن به من النظر الى وجوه تسبق الدمعة فيها الذكريات، هذا فيما يخص السكان. اما الارض والماء والبنات، فيقول السكان ان طه ياسين رمضان (قائد الجيش الشعبي) يومها، هاجم المدينة باعداد غفيرة من جيشه واعدم كل اشجار النخيل والبرتقال والكروم والرمان وكل شجرة مثمرة ولم تترك (البلدوزرات) تلك البساتين العامرة الا ارضاً خراباً شقت فيها الطرق الصالحة لحركة الدروع والدبابات بعد ان صودرت من اصحابها الذين اعدم بعضهم وهرب الاخر خارج العراق، ودفن نهر الدجيل بالكامل وتحولت الاف الدونمات من الاراضي الزراعية المعطاء الى اراض قاحلة ، وامر صدام بتغيير اسم المدينة من الدجيل الى الفارس.

رفق بهذه الشهادات قرار الحكم الصادر عن رئاسة محكمة الثورة الذي يحمل العدد ٩٤٤/ج/١٩٨٤ والمؤرخ في ١٩٨٤/٦/١٤ ووقعه رئيس المحكمة عواد حمد البندر والاعضاء العقيد (الحقوقي) طارق هادي شكر والعقيد (الحقوقي) داود سلمان شهاب. وقد صادق على القرار صدام حسين بتاريخ ٦/١٦/ ١٩٨٤ اما محضر تنفيذ حكم الاعدام الصادر عن قسم الاحكام الطويلة فقد جاء فيه ما نصه (استناداً الى المراسيم الجمهورية المرقمة ٧٧٨ لسنة ١٩٨٤ وقرار الحكم الصادر عن رئاسة محكمة الثورة بالدعوى المرقمة ٩٤٤/ ج/١٩٨٤ فقد تم تنفيذ حكم الاعدام شنقاً حتى الموت بالمذكورين ادناه يوم ٣/٢٣/ ١٩٨٥) وعددهم ١٣٥ شخصاً وهم من سكان مدينة الدجيل وقد وقع محضر التنفيذ كل من الرائد (الحقوقي) هاشم طه حمد المدعي العام في محكمة الثورة والعقيد (الحقوقي) طارق هادي شكر عضو محكمة الثورة وحامد ضهد العبوس و. مدير قسم الاحكام الطويلة، ونقيب الشرطة علي صالح مجبل ضابط مركز شرطة الاصلاح الاجتماعي ممثلاً عن وزارة الداخلية والدكتور ماهر حنا متي الطبيب في مستشفى النور الجمهوري الذي ذيل توقيعه بالنص التالي (أؤيد بان المدانين اعلاه قد فارقوا الحياة في ٣/٢٣/ ١٩٨٥) وارفق بالتقرير نسخة من محضر التنفيذ.

ملاحظة اخيرة

أ. للافراد الذين وردت اسماؤهم في التقرير اعلاه الحق في ايضاح القضايا المتعلقة بهم.

ب. لا يعد هذا التقرير ادانة لأحد فالمتهم بريء حتى تثبت ادانته.

ج. ليس الهدف من هذا التقرير التحريض او التشهير او التأثير في سير المحاكمات او الرأي العام، انما الغرض منه هو استعراض شهادات حية بشأن احدى القضايا المهمة التي عاناها شعبنا العراقي ابان حكم النظام السابق ونعني بها العقوبات الجماعية ونجد في نشر الشهادات حولها ضرورة اعلامية تفيد التذكير والانتباه في مواجهة محاولات إغفالها ودرجها طي النسيان وللقانون القول الفصل في النهاية.

د. نؤكد حرصنا على ان تأخذ العدالة مجراها وان ينال جميع رموز النظام السابق محاكمات عادلة في مواجهة التهم التي ستوجه لهم قانونياً وان كانوا قد حرموا شعبنا منها ايام كانوا في السلطة.

تحت الضوء

محامو الشيطان

حسين التميمي

على الرغم من اننا كعراقيين قد جبلنا على مسامحة من اساء لنا ونكاد أحياناً نصل حد التطرف فنسامح من يغمد خنجره في قلوبنا، ونستميح له العذر، حتى حين يمس الامر حياتنا، ولدينا في هذا المجال الكثير من الادبيات التي تؤكد- قديماً وحاضراً- اهمية العفو عند المقدرة واجارة المستجير حتى لو كان بينك وبينه ثأر (كأن يكون قاتل ابيك مثلاً) ، لكن من ناحية اخرى نحن نغضب كثيراً حين نرى القاتل وهو ينكأ جراحنا القديمة، ويستخف بعذاباتنا.

ثمة حديث يدور الان في الشارع بشان محامي الطاغية، او محامي الشيطان كما سماهم كثير من المواطنين فهؤلاء (المحامون) قدر لهم ان يكتسبوا عداوة اغلبية ساحقة، ولا أريد هنا ان اسمي هذا المحامي او ذاك، لكن اشير الى ان كل من تزين بزي الدفاع عن الطاغية، وبالغ في ارتداء هذا الزي عن طريق الظهور على شاشات الفضائيات العربية، مدافعاً عن موكله، تعلو وجهه ابتسامة دبلوماسية مهنية متقنة، اقول لهؤلاء بانهم قد فازوا بموتهم، ولا يعني هذا بالطبع بان ثمة من سيعتدي على حياتهم (لا قدر الله) انما اعني بموتهم، ان مستقبلهم المهني سيكون مقضياً عليه بالموت الحتمي، لانهم اختاروا الدفاع عن الشر كله وعن الموت كله وعن القبح والسوء والجريمة والوضاعة وكل انواع الانحطاط، وارجو هنا ان لا يكون في حديثي هذا ادانه لكل من رأى في دفاعه عن الطاغية واجباً مهنياً لا يتعدى حدود القضاء، انما عنيت اولئك الذين استهانوا بمجازر الطاغية وبوحشيته ودمويته وراحوا ينظّرون ويدافعون عنه من على شاشات التلفزة الفضائية بمنتهى الاستهتار والوقاحة، متجاهلين مآسينا وجراحنا التي لم تجف دماؤها بعد، وانا اعجب لهؤلاء كيف سيبررون المقابر الجماعية (وقد قال عنها احدهم: هؤلاء خونة وكان يجب ان يعدموا!!) ترى كيف لنقابة المحامين التي ينتمي اليها هذا (المحامي الجهبذ) ان لا تسحب رخصته بعد تهكمه واستهانته بارواح الابرياء، واذا كان الكبار خونة (كما يدعي) فما ذنب النساء والاطفال الذين وجدت هياكلهم في تلك المقابر الجماعية!! ترى على أي شيء يراهن اولئك المحامون، وكم الف أو مليون من الدولارات قد دفعت لتخرس ضمائرهم بهذه الطريقة البشعة، فمحامو الشيطان هم العن من الشيطان ويجب ان يتم وضعهم في مصحات عقلية، لانهم اناس غير اسوياء، اناس اصيبوا بمرض نفسي دولاري رهيب، وهم خطر على القضاء وعلى البشرية لان من يسوغ الاعذار لطاغية مثل صدام ويدافع عنه بهذه الرعونة والصفاقة لا بد ان يكون انساناً غير سوي ويصح للقائمين على حماية البيئة (الانسانية) ان يضعوه حيث يستحق ، فكل ام ثكلها الطاغية وكل عروس رملها وكل طفل يتمه ، هم اكثر شرفاً واكثر احقية بمن يدافع عنهم، وكل محام يأخذ جانبهم يستحق الاحترام والثقة.

اخيراً اقول للطاغية هنيئاً له بالقردة الذين سيمثلوه، لان حكم الشعب لن يكون ضده حسب انما ضد كل من دافع عنه وحاول ان يجمل مجازره وجرائمه، وخسران القضية لن يكون خسراناً لرقبة الطاغية حسب، انما هو خسران لرقاب اخرى (لن تجز) لكنها ستكون في حكم الميتة (اخلاقياً).

وقضية الدفاع عن الطاغية هي قضية خاسرة حتى قبل ان يتم الحكم فيها، لان الشعب سبق ان نطق بحكمه، وصار الطاغية بالنسبة له مجرد ماض، لحظة ان سقط تمثال الطغيان في ساحة الفردوس، اما ما سيقال بعد ذلك او ما سيحدث بعد ذلك فهو لن يعدو مجرد اجراءات متممة لهذا الحكم ولن يكسب المقامرون بسمعتهم وبتاريخهم المهني سوى الذل.